الصنم الذي تعبدون من دون الله .. ينهار اقتصادياً

بقلم: مجدى أحمد حسين

يمر الاقتصاد الأمريكى - و من خلفه نظام العولمة الفاسد - بهزات بل زلازل عنيفة متوالية .. في أعلامنا الرسمي و المنبطح أمام أمريكا .. التي يصورونها قوة لا تقهر.. تتم بصورة منظمة عملية تعتيم واسعة على الكوارث الاقتصادية الأمريكية و تصويرها بأنها أزمات عابرة .. و أن أمريكا "القادرة على كل شئ" .. قادرة على تجاوز أزماتها الراهنة .. و الحقيقة إن الأزمة الاقتصادية الأمريكية ليست أزمة عابرة .. بل هي أزمة في صميم بنية الاقتصاد الأمريكي .. و قد تم التمويه عليها في العقد الماضي من خلال البلطجة العسكرية .. و لكن في الاقتصاد فان البلطجة العسكرية لا تستطيع إن تعالج لفترة طويلة أزمة في صميم البناء الاقتصادي .. و الأمر بطبيعة الحال لا يتوقف على التحليل الاقتصادي الصرف فهذه الأزمة تتداخل مع الأبعاد الحضارية و الاجتماعية و الأخلاقية .. و ليست مجرد جداول و بيانات للعرض و الطلب أو الأرقام الصماء .. و لكننا نقتصر الآن في هذه العجالة على البعد الاقتصادي للأزمة الحضارية الشاملة لهذه القوة العظمى الغاشمة .. إن إعلامنا المنبطح .. و مسئولينا الخائفين من أمريكا .. لم يبرزوا هذه المجموعة من الحقائق .. و إن مجرد إبرازها يرتد عليهم .. لماذا هم خائفون إلى هذا الحد من الصنم الأمريكي ؟! و لماذا يعبدونه من دون الله ؟! ويخشونه دون الله عز و جل .. في الأسبوع قبل الأخير من شهر يوليو الماضي و عقب سلسلة فضائح و انهيارات الشركات الأمريكية الكبرى في مجالات الطاقة و الاتصالات وغيرها .. انهارت أسعار أسهم الشركات الأمريكية إلى المستوى الذي كانت قد وصلت إليه في عام 1997 و أوائل 1998 بل و انخفضت إلى مستوى أكثر من المستوى الذي انحدرت إليه في أحداث 11 سبتمبر . و الانهيار الأخير بالأرقام .. يشير إلى أن مؤشرات الأسهم الرئيسية "داو جونز" للشركات الصناعية الثلاثين الكبرى و ناسداك" لأكبر 500 شركة في المجال التكنولوجي .. قد حققت خسائر بنحو 8,6" تريليون دولار .. (التريليون : ألف مليار) و هي المكاسب الإجمالية التي حققتها هذه المؤشرات في الفترة من منتصف عام 1997 إلى مارس عام 2000 ثم خسرتها بتدهورها المستمر حتى هذه اللحظة . و لتقدير حجم هذا الرقم الضخم فهو يعنى طباعة الدولار - وفقا لمعدلات مجلس السك و الطباعة الأمريكي - على

مدار 600 سنة من العمل اليومي المتواصل بواقع 35 مليون دولار في اليوم (محمد خالد - الحياة - 21/7/2002) و نجمت موجة الانهيار الأخيرة التي تعتبر الأكثر حدة منذ 11سبتمبر الماضي (والتي حققت خسائر قوامها 4 تريليون دولار) من عمليات بيع عورة بعد فقدان الثقة في بيانات الشركات بعد سلسلة فضائح كبرى إضافة إلى إن ضخامة الخسائر لم تدع أمام المستثمر (حامل الأسهم) من خيار سوى محاولة الحفاظ على ما تبقى من استثماراته . خاصة و إن مسلسل انهيار الشركات لم يتوقف بعد ، و تتوالى الأنباء عن الأحوال المالية السيئة لمزيد من الشركات الكبرى في قطاعات التكنولوجيا و الأدوية و قد شملت الخسائر ما لا يقل عن 80 مليون أمريكي من حملت لأسهم . ذلك إن 50% من الأمريكيين يملكون أسهم في البورصة . بالإضافة للمستثمرين الدوليين .. بالإضافة لانتقال الهزات لباقي الأسواق العالمية الأوروبية و الآسيوية ، ذلك إن قيمة الأسهم الأمريكية تشكل قرابة 34% من القيمة الإجمالية للأسهم المتداولة في أسواق المال العالمية ، و التي كانت 35 تريليون دولار في نهاية 1999 ثم انهارت إلى 26,6 تريليون بنهاية عام 2001 . و تقول المجلة الاقتصادية الشهيرة "فورشن" : [هناك عفن مرعب في النظام الاقتصادي الأمريكي] . أما مجلة بيزنس وويك فتتحدث عن [أكبر أزمة للرأسمالية الأمريكية منذ بداية القرن العشرين] . التلاعب المحاسبي في الشركات لتقديم أرباح زائفة .. ثم تعرضها المفاجئ للخسائر الكبيرة أو الانهيار شمل 64 شركة كبرى حتى الآن ، و التلاعب تم بمساعدة مراقبي الحسابات و مؤسسات الاستثمار مثل ميريل لنش (التي تتعامل معها حكومة عاطف عبيد)، و التقارير شملت أسماء لامعة في سماء أمريكان-IBM- الرأسمالية الأمريكية .. مثل زيروكس - جنرال اليكترك اكسبريس التي تناقصت أرباحها بمقدار 53% و نزل سعر أسهمها بنسبة 35% في الوقت الذي تضاعفت مخصصات رئيس الشركة لتصل إلى 31,5 مليون دولار في العام الماضي (و بعد ركود اقتصادي محقق منذ مارس 2001 و أحد عشر خفضا للفائدة في 12 شهرا من 6,5% إلى 1,75% و هو أكبر خفض للفائدة في تاريخ الولايات المتحدة ، و انحدار الإنتاجية في مختلف قطاعات الاقتصاد مع ازدياد نسبة البطالة .. تعرضت الولايات المتحدة إلى تقريع من صندوق النقد الدولي الذي أعلن يوم 6/8/2002 انه من المرجح إن يخفض الصندوق من توقعاته للنمو في الولايات المتحدة بعد الهزة آلتي أصابت وول ستريت و آلتي تسببت فيها التلاعبات المحاسبية في الشركات و حث الصندوق الولايات المتحدة على

السيطرة على عجز الموازنة المتزايد ، و إلغاء الإجراءات الحمائية الجمركية آلتي تقوض حرية التجارة . و تحدث الصندوق عن الأزمة الأخيرة و أكد أنها قوضت بشكل حاد الثقة في قطاع الشركات ، و أعرب الصندوق عن قلقه إزاء تضخم العجز التجاري و أشار إلى دور أحداث 11 سبتمبر في زيادة الإنفاق وبالتالي العجز . و يصف باتريك سيل الأزمة على أنها مقدمات لأزمة إفلاس كالتي شهدتها أمريكا عام 1929 . و كما هو واضح فالاقتصاد الأمريكي يمر بالهزة الثالثة خلال أقل من عامين : الأولى : في عام 2001 و هو بداية الانهيار المالي لشركات التكنولوجيا الفائقة آلتي عرفت باسم شركات وأدى السيليكون .. و هي شركات صناعة المعلومات و الإنترنت .. القائمة على صناعة أشباه المواصلات و هو مخ الكمبيوترات و الإنترنت ،و قيادة ما سمى ثورة الاتصالات و المعلومات ..إلا أن تشبع الأسواق .. و المبالغة في تقدير الأرباح .. أدى إلى بداية الخسائر في عام 2001 و تم تسريح 25 ألفا من العاملين و هو أكبر كم من الوظائف يتم فقده في هذا القطاع خلال 9 سنوات .. و أغلقت 500 شركة أبوابها .. و هو ضعف العدد الذي أفلس خلال عام 2000 ـ و كان الاقتصادي الأمريكي الشهير لستر ثورو قد وصف الأرباح المبالغ فيها لشركات الكمبيوتر بسبب قفزات في ميدان (السوفت وير) بان مثل هذا الأمر لن يدوم أبدا (في الكتابات الاقتصادية يعرف هذا بالريع الظاهري غير المتوازن). (مستقبل الرأسمالية) (2) الهزة الثانية : كانت في 11 سبتمبر عام 2001 و قد فصلنا في ذلك الوقت آثار 11 سبتمبر على الاقتصاد الأمريكي .. و تداعياتها ما تزال مؤثرة حتى الآن .. و طالما بقيت التهديدات بحدوث عمليات عنف كبرى .. فان ذلك يقوض أهم عنصر من عناصر المجتمع الأمريكي : الأمن والاستقرار.. و هما من ضرورات ازدهار المجتمع الاستهلاكي .. (3) الهزة الثالثة : هي التي أشرنا إليها و الخاصة بسلسلة فضائح و انهيارات الشركات الكبرى ، و التي لا تزال مستمرة حتى الآن . و يتوازى مع انهيار الأسهم في البورصة.. تدهور سعر الدولار و يقول ديفيد روش رئيس المجموعة الاستثمارية المعروفة "اندبندنت إستراتيجي" في لندن : ان عهد الدولار القوى قد ولى و انقضى و ان الدولار الأمريكي قد دخل بالفعل فيما سيصبح فترة طويلة و مستمرة من الهبوط و الاتجاه التنازلي ، وهو ما لن تتمكن السلطات الأمريكية من مكافحته هذه المرة . و قال ان الأرصدة المالية الأمريكية لم تعد تمثل عنصر جذب و إغراء مثلما هو الحال مع أرصدة أوروبا و اليابان بل إنها ستعانى من مزيد من سؤ السمعة مع أي تطور سياسي أو

عسكري مـثير للقلـق ، كمـا فـي حالـة إقـدام واشـنطن مثلا علـى مهاجمة العـراق بصـورة انفراديـة. و هـذا التقـدير أعلـن عنـه فـي 30/5/2002 و أثبتـت الأسـابيع التاليـة صـدقه .. و فـي كـانت كـل تقديرات الخبراء ان اليورو سيتساوى مـع المـدولار فـي أواخـر عـام 2003 ، فإذا به يتساوى معه أو يسبقه في منتصف 2002 . و هذا ميل أصيل و سيزداد تعمقا لان تعاملات أوروبا مع العالم ستنحصـر في اليورو ، و المعروف ان الاتحاد الأوروبي أكبر كيـان مصـدر فـي العالم بمبيعات تمثـل 18,4% مـن المبيعـات العالميـة ، فـي حيـن صـدرت الولايـات المتحـدة العـام الماضـي بمـا نسـبته 15,4% و بانخفاض قدره 7% عن عام 2000 .. و مع ذلك يصر بعض مثقفينا على تأكيـد أن أمريكـا هـي القـوة العظمـى الاقتصـادية الوحيـدة و الجبـارة .. بينمـا زادت صـادرات الصـين بنفـس نسـبة الهبـوط الأمريكي : 7% في حين حـافظت أوروبـا علـى نفـس نسـبتها .. و هذه إحصاءات منظمة التجارة العالمية التي تؤكـد ان ترتيـب أكـبر القـوى التجاريـة فـي العـالم فـي مجـال السـلع و الخـدمات : (1) الاتحاد الأوروبي (2) أمريكا (3) اليابان (4) الصين . مـع ملاحظـة ان نسبة أوروبا (18,4%) لا يدخل في حسابها التجارة الثنائية بيـن الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي ! و السوق الأوروبي يصل إلـى 380 مليون نسمة و هو أكـبر سـوق مـن ناحيـة القـدرة الماليـة و الشرائية .. لكل ذلك و لغيره من الأسباب سيظل اليورو في صعود أو على الأقل سيصبح ندا للـدولار .. و بـذلك تتحقـق ثنائيـة العملـة على المستوى العالمي و سيسقط الدولار عن عرشه بعد 50 سنة مـن السـيادة المنفـردة . و لكـن دعونـا نعـود إلـى مسـألة انفجـار البورصة الأمريكية ..الانفجارات المتوالية في البورصـة لـم تفـاجئ إلا المواطن الأمريكي المغـرر بـه ، و لـم تفـاجئ الا السـذج .. أمـا المتابعون لأحوال الاقتصاد الأمريكي فقد كانوا ينتظرون ما حدث.. و كان الخبراء يسمون الاقتصاديات العالمية المعاصرة بكازينوهات القمار.. حيث يكون الربـح منبـت الصـلة عـن العمـل و المجهـود و الإنتاج .. و هو نوع من الاقتصاد الربوي الحـرام . و كتـب الأسـتاذ / عادل حسين رحمه اللـه فـي آخـر دراسـاته (الاسـتقلال الـوطني و القومي) التي كتبها في أوائل عام 2001 مـا يلـي :(انفصـلت فـي إطار العولمة دائرة التداول المـالي عـن دائـرة التـداول فـي سـلع عينية حقيقية فـي أول بـادرة مـن نوعهـا فـي التاريـخ الاقتصـادي ، فالمتاجرة في الأسواق المالية العالمية (المضـاربة فـي الأسـهم و السندات و العملات) كانت نسبتها الى جملة التجارة العالميـة فـي السلع و الخدمات لا يتجاوز 1 : 1 حتى مطلع السبعينيات فأصبحت 1ـ 10 (عـام 1980) ثـم 1 ـ 50 عـام 1992 ثـم 1 70:عـام

1995، و اقتربتمن 1 100: الآن ، و هذا يعنى انحرافا خطيرا و جسيما عن المعنى الاقتصادي للسوق الذي ينبغي ان يقوم في الأساس على التبادل في مجال الإنتاج و ما يرتبط به . ان الدائرة المالية تتضخم و تتضخم بآليات مستقلة و مؤسسات عملاقة تعمل بها ألمع العقول و الكفاءات حيث ترتفع الأسعار و تنخفض في الأوراق المالية و النقود،وفق اعتبارات محدودة الصلة بالاقتصاديات الفعلية لوحدات الإنتاج و الخدمات ، وتوضع في ذلك نظريات معقدة تحاول ضبط العمل و الحد من مخاطر انفجار"الفقاعة" (وقسم كبير من أصحاب جائزة نوبل في الاقتصاد أصبح من أصحاب هذه النظريات) ولكن عملية التضخيم في "الفقاعة" لا تتوقف (فهي خارجة عن أية سيطرة مؤسسية (ومخاطر انفجارها في أية لحظة واردة ، و قد رأينا مقدمات هذا في عديد من الأسواق المالية خلال الأعوام الماضية . و الكارثة ستكون مهولة اذا تمكنت من السوقين الأمريكي و الأوروبي) . و لكن قد يتساءل البعض ما هي مشكلة الاقتصاد الأمريكي.. و لماذا يعانى من مشكلة كبرى و هو قائم على إمكانيات قارة زاخرة بالثروات ،بالإضافة لهيمنته على الاقتصادات المجاورة شمالا (كندا) و جنوبا (أمريكا اللاتينية) .. و عديد من بقاع الأرض .. المشكلة الأساسية ان الاقتصاد الأمريكي يعيش بإمكانيات أكبر من الإمكانيات الذاتية للمجتمع .. للحفاظ على الهيمنة العسكرية و السياسية على العالم من ناحية .. و للحفاظ على الحد الأدنى من الرفاهية للمواطنين الأمريكيين حتى يظلوا مؤيدين لسياسة الهيمنة و مشاركين فيها و لو بالحصول على الفتات بالنسبة لم ا يحصل عليه أفراد الطبقة المترفة التي تسعى للتحكم في مقدرات و أرزاق العالم بالبلطجة العسكرية . (اعترف كلينتون بأن 1% من المواطنين الأمريكيين يملكون 70% من الثروة القومية) . فى حين يعيش 33 مليون أمريكي تحت خط الفقر . الهيمنة الاقتصادية الأمريكية على العالم تتراجع منذ عقدين لصالح آسيا و أوروبا .. و لكن أمريكا تعوض الفجوة بالاستدانة (ديون أمريكا تجاوزت 5 تريليون دولار).. و تعيش في ظل عجز تجارى مزمن .. و كذلك المواطن الأمريكي يعيش بأكبر من دخله .. و بلغت الديون الشخصية الأمريكية عدة تريليونات من الدولارات قبل 11 سبتمبر ، تجاه المصارف الأمريكية .. و يعيش الأمريكيون تحت ضغط نفسي و مادي متعاظم ذلك ان الأجور الحقيقية للعمال الذين ليشرفون على أحد (و هم أغلبية واسعة من القوى العاملة (انحدرت بنسبة 14% . ومن المتوقع ان تعود الأجور الفعلية لهذه القاعدة من العاملين الى مستواها قبل خمسين عاما و ربما أقل !

(لستر ثورو) أما عن العجز التجاري المزمن لأمريكا فيقـول عنـه : (ما من بلد يمكنه ان يستمر بعجز تجارى كبير الى الأبد . ان العجـز التجاري يحتاج الى تمويـل و هـذا ببسـاطة يسـتحيل اعتمـادا علـى الاستدانة بفائدة مركبـة . و مـع ذلـك فـان كـل التجـارة العالميـة ، لاسيما تلك التى تجرى عند حافة المحيط الهادي ، تعتمـد علـى مـا تحققه من فوائض فى تجارتها مع أمريكا لتسديد عجوزاتها التجارية مع اليابان ! و لكن حين يتوقف إقراض أمريكا ، و هذا مـا سـيحدث يوما ما ، ماذا سيحصل حينئذ لتدفقات التجارة الدولية الراهنـة ؟!) ان الأوضـاع الاقتصـادية الأمريكيـة تنطـوي علـى مفارقـات أشـبه بالقنابــل الزمنيــة الموقوتــة.. ان بنــدا واحــدا يلتهــم الآن نصــف الميزانية الفيدرالية و هو بند الإعانـات الاجتماعيـة للمسـنين و فـي عــام 2003 سيســتهلك هــذا البنــد وحــده 75% مــن الميزانيــة الفيدرالية و فى 2013 سيأتي على الميزانية برمتهـا . ان معـدلات الادخار الشخصية انخفضت بصورة حادة من 9% فى العقود الــتي تلت الحرب العالمية الثانية الـى 3% فـي عقـد التسـعينيات و هـي نسبة لا تسمن و لا تغنى من جوع (وصلت النسبة فـي الصـين الـى 40%). نســبة 3% لا تكفــى لتجديــد و تــدوير عجلــة التنميــة بالمعدلات الكافية ، و هذا مـا يـدفع للاقـتراض .. و بـاب الاقـتراض غير مفتـوح بلا شـروط .. و غيـر مفتـوح للأبـد .باختصـار شـديد ان جوهر الأزمة .. ان عبادة المال قـد اسـتحكمت .. و علـت فـوق أي قيمة أخرى وطنية أو قومية أو دينية ، و هو أمـر أدى فـي الاقتصـاد الى غلبة الحاضر على المستقبل ، و غلبة النزعة الاستهلاكية علــى التوجه للإنتاج ، و هذا هو جوهر العجز المزمن في الموازنة العامــة و الميزان التجاري . لذلك أصبح الاقتصاد الأمريكي أكبر مدين فــي العالم ، بينمـا كـان أكـبر مقـرض منـذ 20 عامـا . و يعنـى ذلـك ان الشعب الأمريكي يعيش الآن على أعلـى مـن دخلـه اعتمـادا علـى الاستدانة . وهو في هذا لا يهتم بالأجيال القادمة الـتى سـيقع عليهـا عبء سداد هذه الـديون ..*******نعـم الطـاغوت الأمريكـي فـي تراجع .. و لكننا لن ننام في بيوتنا حتى نسمع نبأ انهيار هـذا النظـام الفاسد كما سمعنا نبأ سقوط الاتحاد السوفيتي .. لقدساهم الجهاد الأفغـاني فـي سـقوط الاتحـاد السـوفيتي .. و لابـد مـن جهـاد فـى أفغانسـتان و فلسـطين و العـراق و كـل مكـان يتعـرض لعـدوان أمريكي .. للمساهمة في التعجيل بإسقاط الهيمنة الأمريكية علــى العالم .. و العرب و المسلمون هم المؤهلون لتخليص البشرية من هذا الشيطان الأكبر .. الـذي يصـد عـن سـبيل اللـه و يبغيهـا عوجـا ..الكل ضاق به .. و لكن نحن أصـحاب العقيـدة و المصـلحة الـذين سنناجزه حـتى النصـر أوالشـهادة .. لانـه يسـتهدفنا بالأسـاس .. و

نحن فى حالة دفاع شرعي عن النفس والعقيدة و المال و العـرض .. ان كل مجـرم منهـم : بـوش أو رامسـفيلد أو رايـس أوتشـينى) يتحدث كل يوم مسفها فى عقيدتنا (بوش قـال مـؤخرا ان الاسـلام دين زائف)أو مستهزئا بأمتنا .. و هم يربطـون الأفعـال بـالأقوال .. انهـم شـياطين الأنـس أو الجـن لافـرق .. و فيهـم صـفات و قـادة العصابات .. فكلهم قتلة و لصـوص .. و هـم مـن خريجـى شـركات النصب و التدليس فى مجال الطاقة و البترول .. الذين نهبوا أموال العرب و المسلمين و نهبوا أموال المـواطن الأمريكـى . مثـل هـذا الصــنف لا يرتــدع الا بــالقوة و المقاومــة .. و مطــاردة النفــوذ و المصــالح الأمريكيــة .. فهــذا يــدعو العــالم لمواجهــة الشــعب الفلسطيني و ذاك ينعق كالبوم لضـرب العـراق .. و هـذه حيزبـون تريد رأس السلطة الفلسطينية .. و كأننا أحجار فى فناء منزلهـم .. أو عبيد احساناتهم . بل لعل الأخيرة تنطبق علينـا فـي مصـر .. لأن حكامنا أذلونا على مدار ربع قرن .. من خلال المعونـة الأمريكيـة .. و كأنها السبيل الوحيد للحياة .. ينعتهم بالأصدقاء .. لعنة الله عليهم أجمعين ...